برعاية السيد رئيس الجمهورية جلال الطالباني .. عقد ندوة الثقافات

المدى الثقافي

برعاية السيد رئيس الجمهورية افتتحت الجمعية العراقية لدعم الثقافة صباح السبت ندوة الثقافات العراقية (المشتركات والخصوصيات، وتستمر الندوة ليومي ٢٨ . ٢٩ كانون الثاني.

شارك في الجلسة الأولى الصباحية الناقد ناظم عودة بورقة تحت عنوان : مثاقفة الاثنيات ودورها في تحديث الثقافة في العراق، وشارك الدكتور عادل كرمياني بورقة جاءت تحت عنوان التفاعل الثقافي والحضاري بين الكورد والعرب في العراق، وقدم الدكتور خزعل الماجدي بحثا بعنوان : العيد المشترك للقوميات والأديان في العراق.أدار الندوة الصباحية الاستاذ كامل شياع.

وقدمت في الجلسة الثانية بحوث عدة حول السريان والتركمان والشبك، وقضايا التوحيد في الاسلام والمسيحية، ووقفة عن العلاقات التاريخية بين الأرمن والعرب.واستمرت الندوة الى اليوم الأحد ببحوث الجلسة الصباحية التي تتحدث عن الكورد الفيليين والثقافات العراقية، اضافة الى اوراق اخرى عن خصائص اللغتين السريانية والعربية، وطقوس الزواج في الاسلام والمسيحية والايزيدية والمندائية.

الاستشراق الإيتمولوجي

د.سعيد الجعفر

حاول إدوارد سعيد في عمله الكبير " الإستشراق" أن يدرس ما أمكن من الظواهر وحقول المعرفة التي خلق فيها العلم الغربي وبغطرسة"شرقاً"، ليس موجوداً في الواقع بل صنع على طاولات الكتابة وغرف البحوث الغربية.

بيد أني لم ألاحظ أبداً أن أدوارد سعيد تناول علم اللغة وبالذات الفرع المسمى بالإيتيمولوجي ، أي علم أصل الكلمات والذي أسماه عبد الحق فاضل في مغامراته اللغوية بعلم التأصيل أو التأثيل.

فهذا العلم الذي وضع علماء اللغة الأوربيون أساسه الحديث بارى الاستشراق في الغطرسة وحرف الحقائق والسكوت عنها فقط لكي يتماهى في الجهود الضخمة التي بذلها المؤرخون واللغويون الألمان ومن ورائهم جل علماء الغرب لإثبات نظرية الشعوب واللغات الهندو أوروبية. وهذه النظرية أصبحت موضع تساؤل في العقود الأخيرة مع أن أول من حاول نقضها هو عالم اللسانيات والأمير الروسي تروبتسكوي. فالآثاري كولن رنفرو قدم في كتابه " الأركيولوجيا واللغة" ملاحظات مهمة تضع نظرية الشعوب واللغات الهندو أوربية موضع تساؤل. بيد أن الإنجاز الكبير في هذا المجال- والذي جاء متزامناً مع عمل أدوارد سعيد- هو ماقدمه الباحث اللساني الأمريكي مارتن برنال في كتابه " أثينا السوداء"، وهذا الكتاب مع كونه استفاض في دراسة الجوانب الثقافية التي أراد فيها أن يثبت أن المكونات الأساسية التي شكلت الثقافة الهلينية جاءت من مصر والحضارات السامية، الا أنه لم يتحدث كثيراً عن التأثير اللغوي الكبير للغة المصرية القديمة واللغات السامية في اللغة الأغريقية، وقد ذكر في أحد الفصول أن ربع المفردات الإغريقية مأخوذة من اللغات السامية القديمة والربع الآخر من اللغة المصرية القديمة، الا أنني لم الاحظ أمثلة تناسب أهمية الموضوع.

وقد كان من ضمن دراستي في اللسانيات أن بحثت في أصل الكلمات، وكنت كل مرة أبحث فيها عن الأصل الأول لكلمة ما أجد أن الإيتمولوجيين وضعوا سداً منيعاً يحيط باللغة اليونانية القديمة بحيث لا تجد الا لماماً أصلاً لكلمة يتعدى الحدود التأريخية لهذه اللغة. فما عدا الكلمات المرتبطة بالعهد القديم والمأخوذة من اللغة العبرية، لا تجد مطلقاً كلمات أخرى يبحث في أصلها الآتي من العراق القديم أوسوريا أو مصر القديمة.

ولا أجد سبباً يمنع علماء اللغة من تقصي أصل الكلمات سوى الحالة الإستشراقية المتغطرسة التي طبعت هذا العلم في القرنين الثامن والتاسع عشر بل حتى النصف الأول من القرن العشرين.

فالبحوث العظيمة التي قام بها علماء الآثار كانت كلها مكتوبة باللغات الأوربية الثلاث: الإنجليزية والفرنسية والألمانية وفيها أفردوا الكثير من بحوثهم لفك رموز الخط المسماري والكتابة الهيروغليفية و كتابات اللغات السامية القديمة. ولذا كان من السهل على علماء الأتيمولوجي أن يتقصوا في أصل الكلمات كي يصلوا الى موطنها الأول الذي إنتشرت منه بعد ذلك في لغات متعددة، وانا أتحدث عن ذلك لأنني وجدت أن الباحثين الإيتمولوجيين يفردون صفحات كاملة للتوصل الى أصل كلمة ما، بل يبحثون في كل الأصول الممكنة لكلمة ما لكنهم لا يبحثون أبداً في إمكانية ورود هذه الكلمة من أصل سامي أو سومري أو مصري.

وعلى الرغم من أن الإستشراق الروسي ومن بعده السوفييتي كانا يختلفان عن الإستشراق الغربي ويتسمان بسمة إنسانية ، الا ان الأيتيمولوجيين الروس كانوا يحذون حذو الإيتمولوجيين الغربيين في محاولة طمس الحقائق اللغوية. وهنا أردت أن أورد حادثة أثارت إنتباهي في فترة دراستي للماجستير في إحدى الجامعات في مدينة سانت بطرسبورج (لينينجراد). فقد كان من ضمن المواد المقررة علينا في تلك الفترة هي مادة تاريخ الكتابة. والغريب أن الكتاب المقرر ذكر جميع أنواع الكتابة ولم يذكر الكتابة المسمارية، التي كانت هي أول كتابة عرفها التاريخ الإنساني .

ويبدو ان تأثر علم اللغة الروسية المباشر بالعلماء الألمان في اللسانيات كان هو العامل الذي جعل علم الإتيمولوجي الروسي ينحو منحى إستشراقيا غربيا. فبالرغم من الجهود الضخمة للروس في مضمار علم اللغة الأ أن ثلاثة ارباع البحوث والكتب الخاصة بعلم اللغة الروسي كتبت أصلاً من قبل علماء لغة وباحثين ألمان، لا بل أن المعجم الإيتيمولوجي الرئيس للغة الروسية كتب من قبل إيتيمولوجي ألماني إسمه

تروبستكوي

ادورد سعيد

ماكس فاسمر وتمت بعد ذلك ترجمته الى اللغة الروسية مع إضافات من قبل الباحث والأكاديمي السوفييتي تروباجيف.

وأنا أعتقد أن السبب الرئيس للمنحى الإستشراقي في البحوث الإيتيمولوجية في أوربا –ما عدا مسألة التأثر بالعلماء في المجالات الأخرى –هو أن تقصي أصل الكلمات قاد الباحثين الإيتيمولوجيين الى حقائق خطيرة لم يصدقوها في حينها. فمعظم المفردات التي تنتمي الى طائفة " المفردات الأساسية" مثل الأرض، السماء، الموت، الحياة..الخ لم تكن من أصل هندو أوربي . كما أن مفردات تعتبر مركزية في الثقافة مثل الألوان والمفردات الخاصة بأمور الزراعة هي بمعظمها ليست – من اصل هندو أوربي. ولما كان الباحثون في حينها في أعلى درجات الإعجاب والتقديس للغاتهم بحيث أن اللغة الألمانية كانت بموقع اللغة اللاتينية والعربية من ناحية كونها مقدسة وكذلك الفرنسية والإنجليزية الى حد ما، فإنهم ، كما أعتقد، لم يريدوا ان يسيروا بعيداً في هذا الإتجاه ليجدوا امامهم درباً واحداً يفضي الى الحضارات الكبرى التي كانت مجاورة لما يسمى بالشعوب الهندو أوربية، الا وهي حضارات العراق القديم وسوريا ومصر القديمة، تلك الحضارات التي جرت فيها صياغة المفردات الأساسية والمفاهيم المهمة بحيث أن ملحمة جلجامش لم تضع فقط توصيفاً لمفاهيم الموت والحياة بل ناقشتهما بعمق يبز أعتى الوجوديين المعاصرين. فإرجاع الكلمات الى إصول رافدينية أو مصرية هو رفع من شأن تلك الشعوب التي بقي آرنست رينان والفلاسفة الألمان ومن خلفهم الجوقة الأوربية برمتها يشتمونها بكرة وأصيلا في كتبهم التي كانوا يعتقدون حينها أنها علمية وموضوعية.

والمعضلة الثانية التي يبدو انهم واجهوها حين تعمقوا في البحث في أصل الكلمات هي أنهم أعتبروا لغات البلطيق –وهنا اقصد اللغتين اللاتفية واللتوانية وليست الإستونية لأنها تنتمي الى عائلة اللغات الاوجرو- فنلندية –هي أكثر اللغات الهندو أوربية التي حافظت على المفردات وبناء الجملة في اللغة الهندو أوربية الأولى المفترضة. لكن أحد البحوث الحديثة للساني أمريكي إسمه أنديس كاولينس أظهرت أن هنالك تقارباً كبيراً بين اللغة السومرية واللاتفية في كثير من المفردات الأساسية والمفردات المهمة الأخرى مثل المفردات الزراعية والرعوية ومفردات القرابة. ولذا فقد وجد العلم الإيتيمولوجي الغربي نفسه ثانية في بداية الطريق ذاته الذي يقوده في النهاية الى الحضارات الكبرى الأولى في العراق وسوريا ومصر. ولقد لاحظت أن اللغة الروسية واللغات السلافية الأخرى قد أخذت الكثير من المفردات من لغات البلطيق، قياساً الى عائلة اللغات الجرمانية- أي الألمانية والإنجليزية والسويدية وغيرها-. وبذا فإن معرفة تقارب اللغتين اللاتفية والسومرية يحل الكثير من الألغاز الخاصة باللغة الروسية ومصدر الكثير من الكلمات المهمة فيها. فكلمات روسية مثل DEN وتعني يوم هي في اللاتفية DIENA في حين أن كلمة مشابهة في السومرية هي DANNA والتي تعني ١/١٢ من اليوم. كلمة AREOL الروسية تعني نسر وهي في اللاتفية ARANIS أما في السومرية فهي URIN والأمثلة كثيرة . بيد ان جميع الأمثلة تخص كلمات مركزية في اللغة، تتعدى المفردات الأساسية الى إستعمالات أخرى.

السبب الثالث كما أعتقد هو أن أي محاولة لإرجاع أصل الكثير من الكلمات الى مشارب رافدينية ومصرية سيقود منطقياً اليالقناعة بتأثراللغة اليونانية القديمة بتلك اللغات وهذا ماكان العلم الأوربي لا يريد له ان يحدث. فالنظرة الى اليونان القديمة كانت تتصف حينها بالرومانسية القصوى، بحيث أن الفكر الأوربي الحديث برمته صيغ ليتماهى في الحضارة الإغريقية التي أصبحت مهرباً حالياً –على الأقل في الجانب الفلسفي منه- من المسيحية التي قتلت غير مأسوف عليها. فالفلسفة الحديثة منذ ديكارت مروراً بكانت وبقية الفلاسفة الألمان والإنجليز بنيت على أساس الفلسفة اليونانية واقرب مثال على ذلك هو الفلسفة النيتشوية القائمة على العنصرين الأبولوني والدينوسيوسي ، كما تم بناء المسرح والموسيقى والعلوم الطبيعية على أساس العلم الأغريقي القديم. ولذا فقد بذلت جهود جبارة لإلحاق اليونان بالشجرة الهندوأوربية وبموازاة ذلك تم محق أية معلومة أو محاولة تبرز التأثير السامي والمصري في اليونان القديمة.

هذا الأمر يذكر حقاً بما استفاض ميشيل فوكو في الكتابة عنه الا وهو إستخدام المعرفة كسلطة، الأمر الذي لم يحاول فرانسيس بيكون البحث فيه من ناحية إستخدام الإنسان للمعرفة كسلطة على أخيه الإنسان بل إستخدام المعرفة كسلطة للسيطرة على الطبيعة.

ولقد حاولت أن أصنف الجوانب التي جرى فيها طمس وتجاهل الحقائق اللغوية فيما يخص أصل الكلمات في النقاط أدناه:

-يتقصى الباحث أصل الكلمة فيصل الى الأصل اليوناني ويتوقف عنده، مع أن الكلمة تملك أصلا أقدم. فكلمة KANON وتعني قانون أو قاعدة يجري تقصي البحث في أصلها حتى يصل الباحث الى المفردة اليونانية، التي تعني اصلاً قصبة القياس ومنها جاء إسم المدفع في الكثير من اللغات منها السويدية والفرنسية التي أخذتها من اللاتينية وتعني فيها أنبوب وهي مأخوذة من الإغريقية. وقد ورد ذلك في خمسة معاجم أيتيمولوجية إحدها إنجليزي والآخر سويدي والثلاثة الباقية روسية. لكن كلمة قانون اليونانية مأخوذة أصلاً من كلمة قناة الآرامية وتعني قصبة وقد ورد ذلك في معجم الألفاظ السريانية في المعاجم العربية وهو من تأليف البطريرك مار إغناطيوس أفرام الأول. ومنها جاءت تسمية الرمح بالقناة لأن السنان يركب عليها. وهناك أمثلة أخرى تصنف تحت هذه الفئة منها EARTH المأخوذة من كلمة مشابهة باليونانية بيد أن الكلمة اليونانية مأخوذة على الأرجح من كلمة AGAR السومرية بمعنى حقل. ومن الجدير بالذكر أن العلامة إبراهيم السامرائي أفرد فصلاً لمعجم الالفاظ السريانية في المعاجم العربية إنتقد فيه بعض مواقع الخلل في هذا المعجم ، ومنها أن المؤلف لم يفرق بين الكلمات التي من أصل سامي مشترك والكلمات العربية ذات الأصل السرياني. وأعتقد أن هذا الأمر مهم جداً في الدراسات الإيتمولوجية لأننا نجد الكثير من الكلمات الروسية هي من أصل سلافي مشترك ولذا فلا يمكن

ارجاعها الى اللغة البولونية التي تأثرت الروسية بها في بعض المواقع، أو أن نرجع بعض الكلمات السويدية الى أصل الماني أو إنجليزي في حين أنها من أصل جرماني مشترك لهذه اللغات مأخوذ من اللغة الجرمانية الأولى.

- يستخدم الباحث تعبير"من أصل غير معروف" لكلمات تعتبر أما من فئة الكلمات الأساسية أو أنها كلمات مركزية في اللغة. فكلمة حرب في السويدية مثلاً هي KRIG وهي مأخوذة من الألمانية ومن قبلها من اللاتفية. ولما لم يجد الباحثون أصلاً لها في اللغات الهندو أوربية إلتجأوا الى مصطلح " الأصل الغامض" في حين أن الكلمة مأخوذة على الأرجح من المفردة السومرية KARASH والتي تعني موقعاً عسكريا.

- يصل الباحث الى الأصل العربي أو العبري للكلمة ويتوقف. لكن الكلمة العربية أو العبرية مأخوذة بدورها من اللغات السامية لما بين النهرين أو من اللغة السومرية، فكلمات مثل مترجم، سلطان، سمسم، فيل هي جميعاً ذات أصول أما أكدية أو آرامية او سومرية. وقد إرتكب اللغويون العرب القدماء الخطأ نفسه- وكانوا معذورين بالتأكيد - وتصوروا أن الكلمات التي لم يجدوا لها أصلاً عربياً هي من أصل فارسي. ولم يمط اللثام عن ذلك الا العلامة طه باقر في كتابه " معجم الدخيل في العربية" الذي أرجع الكثير من الكلمات التي كنا نتصور أن أصلها فارسي الى أصول سومرية وأكادية وآرامية، مثل زعفران، أباب، إرجوان، بستوكة، سنديان، شوندر، لوبياء..وغيرها.

- وأخيراً فإن تأثير الفكر الإستشراقي المتغطرس واضح على البحث الإيتيمولوجي. ففي الكثير من المعاجم الإيتيمولوجية ترد عبارة " الكلمة من أصل شرقي" أو " الكلمة من لغات بلاد البحر المتوسط" وهو توصيف غير علمي لأن الشرق لا يتكلم لغة واحدة ، وتحيط البحر المتوسط بلاد تتبع لأربع شجرات لغوية . وتدخل ضمن هذه الفئة كلمات مثل بجع، فلفل..وغيرها.

في نهاية مقالي هذا أردت أن أورد مثالاً على كيف أن البحث يتعدى حتى حدود الغطرسة ويصبح أمراً مضحكاً. ففي جميع المعاجم الإيتمولوجية المعروفة اليوم يرد أن أصل كلمة نحاس COP-PER مأخوذة من كلمة قبرص. في حين أن قبرص سميت بهذا الإسم لأن النحاس كان يجلب منها. ويورد العلامة طه باقر في معجمه حول الدخيل في العربية أن كلمة نحاس(صفر) مأخوذة على الأرجح من كلمة زيمبر السومرية بالمعنى نفسه .

تنويه

يشارك الشاعر فوزي كريم نشاطنا الثقافي في جريدة (المدى) بالمساهمة في كتابة عموده (ثياب الامبراطور) بدءاً من يوم غد الاثنين.

المنعطف .. رواية حنون مجيد الأولى

عبد العزيز لازم

عقدة الفاجعة في المنعطف تستقر في الحلم المطعون في الظهر ، وتفتح نافذة نحو مشكل التغريبة الاضطرارية التي يتفرع عنها الخروج عن الحضن الأول والأنزياح نحو المرافىء البعيدة بحثا عن حل غير مؤكد .

بعد أن يبدأ الكاتب بتسليط الضوء على الموشور عازلا أطيافاً موجوعة وحادة وغاضبة ،يأخذنا إلى المنعطف الرئيسي، عندها نشعر لأول وهلة بأن الحكاية ستطول وتطول ، لكنه سرعان ما يأخذنا إلى مسالك مختصرة تؤدي إلى نهاية كثيرة الصراخ بأسئلتها . يريدنا حنون مجيد ونحن نخرج من المنعطف الرئيسي الخانق أن نقتنع بأن تقنيات الرواية وادواتها يمكن أن تختزل في قصة طويلة أو رواية قصيرة (اصدر الكاتب خمس مجموعات قصصية لحد الآن). فالمعروف إن المفهومين الأخيرين (القصة الطويلة او الرواية القصيرة) قد حققا وجودا منطقيا ومقبولا في خارطة فن القص منذ حلول النصف الثاني من القرن العشرين ، أي الفترة التي بدأت فيها ايقاعات الحياة تميل الى التسارع وبلوغ ذروات مختلفة الأرتفاع . ونزعم ان البلدان النامية قد حظيت بنسبة محدودة من هذه السمة بسبب طبيعة التطور غير المتوازن الذي ساد فيها و وبسبب حجم هذا التطور . غيرأن هناك سبباً آخر ذا طابع جبري جعل هذا الجنس من الأدب القصصي يحتل مكانا متسعا في المساحة العامة للأدب في هذه البلدان هو ضمور علم النفس وعلم الأجتماع خاصة في البلدان العربية لأسباب عديدة لامجال لذكرها .كما ان الوضع السياسي غير المستقر فيها وما رافقه من إرغام الأشياء على الأتجاه في مسارات مصنوعة وقمع الأنسان من اجل ذلك قد ساعد على توفير الحضن الواسع المناسب لنموعوامل اعاقة تطورهما ومنعهما من تغطية حياة وعقول عموم الناس مثلما كان جاريا في الغرب . فالمبدع العربي عموما ظل يعاني من ندرة القارىء الذي يستطيع تضييف واستيعاب ما ينتجه في عقله ووجدانه. كذلك خصت الظروف المبدع العراقي بذلك النوع من اللوعة والهم الناشئين عن اتساع نطاق عوامل وادوات القمع الأجتماعي والسياسي بله الأقتصادي الهادفة الى تحجيم خيالاته او ترويضها وكبح انطلاقات وجدانه لدرجة لا تطاق .لقد اعتاد هذا المبدع على اطلاق ابداعه وهو يسيرعلى النار، وكانت النتيجه انبثاق ذلك النوع من حدة الذهن والتذاهن مع الكيانات الروحيه للأشياء والعالم المادي ومع العالم الما ورائي لحوادث الزمن .

نعود إلى حكاية المنعطف الرئيسية، فهي في معناها تفترض وجود منعطفات أخرى ثانوية أو غير رئيسية. إنها ثانوية ليس من ناحية الأهمية الفنية ، لكنها تشكل وجوها أخرى للصورة التي تتكاثف ألوانها في المنعطف الرئيسي .فاضطرار (سليم ناصر) على العودة الى مدينته دون ان يكمل الرحلة حيث والدته المريضة التي تحتاجه إلى جانبها في وحدتها الأخيرة مع الموت تشكل منعطفا في خطة البطل الرئيسي الذي تحول إلى (الراوي) أيضا . الخطة تركزت على الهروب من مدينته المظلمه الجاحدة التي تلقى فيها كل انواع القمع والألغاء المجاني لآدميته حالما بالخلاص في مدينة اخرى (سرمارا) فلم يكمل الطريق اليها . إن ذلك الموقف قد شكل منعطفا يعكس قوة الألتزام لدى البطل في الالتصاق بالحضن الأول ،الأصيل المتمثل بالأم ، الوطن . اما المنعطف الثانوي الآخر فيتمثل في قرار المرأة الجميلة وزوجها في التخلي عن السفر في تلك الحافلة الصغيرة التي كان قائدها العابث مصرا على مضايقتها بنظراته الوقحة وعباراته الأستفزازية، يساعده في ذلك مساعده الذي يساهم في تنفيذ خطط سيده المريبة ضد ركاب سيارته من النساء. اختفت العائلة بعد المرحلة الاولى من الرحلة هربا ورفضا لسلوك ذلك السائق ذي الماضي الرديء ، الأمر الذي شكل منعطفا آخر في حياة تلك العائلة التي فضلت ضمان حماية شرفها على مواصلة السفر إلى مدينة الأحلام (سرمارا) .

يعمل الكاتب بشكل مستمر ومنذ البداية على وضعنا في أجواء قاتمة وكابوسية لاتترك لنا قسطا من الراحة ولو لغرض التأمل، واداته الأولى في ذلك هي انه وضع الزمان والمكان جانبا تاركا او راسما لأحداث حكايته تيارا مستقلا خارج الزمان والمكان ، مهمته الدخول في وجدان القارىء وايصال رسالة ناجزة من شأنها تفجير كوامن اللوعة ونكء جروح لا حصر لها . ان الغاء المكان والزمان في العمل الفني من شأنه تكثيف الطابع الفانتازي فيه من جهة ومن جهة اخرى نراه يعزز الهوية الكونية لمضمونة رغم ان القارىء العراقي او العربي يستطيع بسهولة تحديد مسرح الحدث في (المنعطف) والتعايش مع زمان مفترض فيه . إن ذلك يعبر عن قدرة الكاتب على تحويل المعطى المحلي إلى معطى ذي دلالات عالمية. من الجانب الآخر يحاول الكاتب أن يؤكد انتماءه الى ذلك النمط من المبدعين الذين لا يكتفون بتصوير الأحداث بل العيش في خضمها وتلقي نتائجها مع حمل الندوب ذاتها التي رافقت اشخاص الرواية طيلة حياتهم . صحيح ان الخيال الخلاق للمبدع يعد احد اقوى مفاتيح الأبداع لدية، وقد ظهرت الى الوجود وعاشت بين ظهرانينا ولا تزال روائع كثيرة لم يساهم كتابها بصناعة احداثها على مسرح الحياة ، الا انها امتلكت كشوفاتها العميقة وعناصر الأدهاش والتطهير الخاصه بها . لقد اعتبر ستيفنسن كرين مثلا (٢٤ عاماً) من أعظم الروائيين الذين كتبوا عن الحرب الأهلية الأمريكية رغم انه لم يساهم في تلك الحرب وكان ضريرا لكن روايته (وسام الشجاعة الأحمر) قد صنفت باعتبارها اعظم رواية تناولت أحداث تلك الحرب . وتندرج في هذا الصنف من المبدعين اسماء مثل بلزاك وفولكنر وتوماس هاردي وماركيز وطه حسين ونجيب محفوظ وفؤاد التكرلي وغيرهم ممن نالوا اعلى الجوائز على اعمالهم. اما الجمهرة الاخرى فقد استطاعت ليس خلق احداث اعمالهم فحسب بل المساهمة فيها شخصيا مثل مكسيم غوركي وديكينز ودستيوفيسكي وسارتر وصنع الله ابراهيم وغائب طعمة فرمان وغيرهم .

إن هؤلاء الناس قد أقاموا حرفتهم على أساس استيعاب الأحداث والعلاقات ذهنيا أو معايشتها حياتيا وأضافوا إليها مقدرتهم الأبداعية في رسم الحبكة والشحن الدرامي الإيحائي مع الغوص فيما وراء الأحداث ومدلولاتها الحياتية وطبيعي أن تكون لكل من هؤلاء المبدعين تجربته الذهنية والحسية والحياتية الخاصة به والتي لا تتكرر بحذافيرها لدى أي واحد منهم .

يدخل علينا حنون من باب الحرائق العراقية التي احرقت اصابعه وادمت دواخله ليعلن بيانه الروائي مجسدا في تلك الجمل الحكائية المحكمة والشخوص المهزومة المدماة التي لم تفقد قدرتها المتصاعدة على إطلاق الأحلام ، السلاح الوحيد الذي حافظت على حيازته ، وهو أمر يعتبر في رأينا هجوما مضادا على الهزيمة والإحباط الذي حكم بشر الرواية ، فصار الحلم عند هؤلاء محركا جبارا لكل حركتهم وإنعاشا لروح البحث عن البدائل لديهم رغم نهايتهم الفاجعة .

المدينة، مدينتهم التي لا تملك لهم غير السحق على الرؤوس وبتر الأصابع والأيدي واغتصاب النفوس واعتقال الأرادة، ورصف الحياة بالموت المادي والموت الداخلي . هذه المدينة دفعت مجموعة من الرجال والنساء الى الهجره وراء احلامهم بمدينة اخرى، هي الخلاص ، هي النقيض لمدينتهم . وكان هذا الحلم هو الخيط الذي يربطهم ويؤسس وحدتهم البشرية (ويؤسس الحجة الفنية) . فكلهم يعرفون حتى اسمها (سرمارا)(لعلها سر من رأى) وكلهم مؤمنون بأنهم سيجدون ما خسروه في مدينتهم الجاحدة في تلك المدينة الحلم حتى الحالات غير المعقولة كاسترجاع أرجلهم أو أيديهم المبتورة أو عيونهم غير المبصرة.

بين المدينه الأولى (الواقعية) والمدينة الثانية (الحلم) يقع المنعطف ، والمنعطف هو الصحراء (الوحشة، الغدر وانياب الضواري). وكأن المدينة الأولى أرادت أن تلاحقهم بالأنتقام منهم فأودعت مصائرهم تحت رحمة سائق (قائد) حافلة رديء السمعة، مقطوع الأصل ، ذي سلوك غادر هو من نتاجها المشوه .(قائد) الحافلة ذاك (العملاق الرابض خلف مقود مطواع ، رجل مجنون) يتلفع بأسم مزيف (سعيد عبد الله)، يكشفه رجل ضريرمن ركاب الحافلة .

تنشأ مشكلة المنعطف (الطريق المعوج) مع نشوء ووضوح شخصية سائق الحافله (القائد) ، فهي تتجمع وتتكور وفق قوانينها الداخلية غير المرئية ثم ترمي نفسها على رقبة (غريب بن ...) فيتحول هذا الى حضن وبيئة تتطور فيها . لقد تعرف عليه الرجل الضرير متعمدا إطلاق عبارة (بن...) دون ان يكملها فهي لا تمتلك تكملة معروفة، لان والده غير معروف . وهو على أية حال ، غريب ليس بالنسب فقط بل هو غريب في مواقفه واخلاقه عن اخلاق بل وظروف الجماعة، ركاب حافلته وهم الذين في عرف بعض المجتمعات ومنهم المجتمع العراقي ، ضيوف لديه . لكن (غريب) المتهتك ، الغارق في الجريمة، الذي ادعى معرفته بطرق الصحراء الموحشة، انعطف بركابه المسالمين ، ضحايا الحروب الأجرامية الى طريق زعم انه يختصر المسافة الى (سرمارا) مستغلا انعدام البديل لديهم الذي يوصلهم الى حقيقة الحلم . (غريب) ،الديكتاتور المتعجرف الذي يضع الخطط المشبوهة للوصول الى غاياته القذرة مع نساء المجموعة ويتصل بقطاع الطرق والمهربين في هذا الطريق البعيد عن الطريق المستقيم المعروف ، ينفذ جريمته باغتيال احلام هؤلاء الذين منحوه ثقتهم والذين خطط نفر منهم بعد ذلك للأنتقام منه فكانت النتيجه موت الجميع (عدا الراوي) بمختلف الوسائل اثناء تخبط حافلتهم في طرق الصحراء الدائرية التي غالبا ما تعود بهم الى النقطة ذاتها التي بدأوا منها في دائرة رئيسية مغلقة.